

قَوْلًا خَيْرٌ مِنْ قَوْلِ بَطْنٍ وَقَوْلًا قَدْ تَرَفَعُوا فِيهِ
مِنْ كِتَابٍ

مِنْ حَبَابِهَا كَثِيرٌ لِيَعْتَمِدَ

لفضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن محمد بن سيار بن بازمول

حفظه الله تعالى



اللقاء السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فلا زال الحديث موصولاً بمدارسة ما سطره شيخنا الإمام ربيع بن هادي المدخلي من رسائل متعلقة بطالب العلم الموسومة بـ

مرحبا يا طالب العلم ، وهذه الرسالة هي الرسالة الخامسة وهي علم الكتاب والسنة وأثره في الأمة ومن عنوان الرسالة نستطيع أن نقول : إنَّ شيخنا -حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أراد أن يُعَلِّمَ طلاب العلم، أن لعلم الكتاب والسنة أثرا في حياة طالب العلم خصوصا وفي المسلمين عموما ، أمّا أن يكون علم بلا أثر ولا تطبيق وعمل فهذا ما لا يُحمد عقباه .

فالعنوان - بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ - يُنَبِّهنا إلى أن لعلم الكتاب والسنة أثرا في حياة طالب العلم من الإيمان والتقوى ، والعمل والخشية ، والرجوع إلى الدين الصحيح الذي أرسل الله -عَزَّ وَجَلَّ- به نبينا الكريم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

من الفوائد في هذه الرسالة المستخرجة أو المستنبطة من كلام شيخنا -حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى- :-
أن الاتباع يتطلب العلم ، وأن التمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح لا يقوم إلا على العلم .
وهذه فائدة مهمة لأن بعض الناس يقول أنا سلفي ، أنا متبع وهو لا يتعلم .

إذا تتبع ماذا ؟

وأي منهج سلفي تسير عليه وأنت تجهله ؟

هل يستقيم الظل والعود أعوج؟!

فهذا لا يستقيم به حال المتكلم ، أن يقول : أنا متَّبِع ، أنا سلفي ، وهو لا يتعلم !

ولذلك كثيرا ما ينصح مشايخنا - رَجِمَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ وَحَفِظَ اللهُ الْأَحْيَاءَ - ما ينصحون السلفيين أن يتعلموا ، وأن يتبصروا في دينهم ، وأن لا يكون فقط الواحد منهم سلفي وهو جاهلٌ أعمى لا يبصر الطريق فإذا - بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ - : هذه فائدة مهمة وقضية خطيرة جدًا لأن الجاهل بالمنهج السلفي لا يأمن على نفسه عدم الثبات على الحق ، والجاهل بالمنهج السلفي يضتر ولا ينفع .

- لماذا؟

لأنه يتخبط ، ولأنه قد يفعل أمورًا لا يقرها المنهج السلفي ثم هو يُنسب للسلفية والسلفيين ، فإذا لا بد من العلم - بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ -

وأيضًا من الفوائد :

أن العمل والقول لا يصحان إلا بالعلم ، فقوْلُ بلا علم وعملُ بلا علم لا يصح

- لماذا؟

لأن العلم هو الأساس وهو القاعدة التي يسير عليها العبد.

ومن الفوائد التي تضمنتها هذه الرسالة ما ذكره شيخنا - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى - بقوله :

" الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وأمتة مأمورون باتِّباع الحق واتباع العلم ، والحق هو العلم "

إِذَا - بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ - الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مأمور باتِّباع الحق وأن لا يخالفه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وحاشاه من ذلك ولكن من باب أنه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مخاطبٌ بهذا الأمر مع المؤمنين وإلا فهو - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أولى الناس بذلك فإذا كان الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مخاطبًا باتِّباع الحق فمن دونه من العلماء وطلاب العلم وبقية الناس أيضًا هم مخاطبون باتِّباع الحق ، لذا من أبغض الكلام إلى الله

-عَزَّ وَجَلَّ- أن يقول الرجل للرجل: "اتق الله"، فيقول: إليك عني، يُدِّرُه بتقوى الله ويحثه على اتباع الحق فيكره ذلك .

ولذلك إخواني -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- من المصائب التي يُبتلى بها بعض الناس أنه يعرف الحق و يكا بر ، يعرف الحق و يعاند إِمَّا طلبًا للرياسة والتصدر وأن لا يقال عنه كذا وكذا ، ما قد يظن هو خطأ أنه يُساء إليه بذلك ، وإلا " فإن الرجوع إلى الحق خير من التهادي في الباطل " كما قاله عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَعَنْ جَمِيعِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وإمَّا لا يرجع إلى الحق ويعاند ويكا بر حسدًا وكِبْرًا وَبَطْرًا - نَسَأَلُ اللهُ أَلْسَلَمَةَ وَالْعَافِيَةَ - ، فالواجب على المسلم اتباع الحق .

ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- في هذه الرسالة :
أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- وَكَلَّ إلى هذا الرسول الأمين الكريم -عَلَيْهِ أَلْصَلَاةُ وَالسَّلَام- أن يُبَيِّنَ للناس هذا القرآن الكريم وأن يُبَيِّنَ لهم مقاصده ومراميه .

أقول -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- :

قد ذكر الشافعي وغيرهم من أهل العلم أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُبَيِّنُ القرآن ويفسره، فهو الذي - عَلِيهِ أَلْصَلَاةُ وَالسَّلَام- بَيَّنَ لنا الصلاة أوقاتها ، أركانها ، شروطها ، وصفاتها إلى آخره، بَيَّنَ لنا الحج ، بين لنا الزكاة ؛ وهذا كما مر معنا أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- خَاطَبَ نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنه أنزل عليه القرآن ليبيِّن للناس ما نُزِّلَ إليهم .

وأيضاً قد تأتي السنَّة النبوية موافقة لما في القرآن ، ففي القرآن الأمر بالصلاة ، وإيتاء الزكاة ، في السنَّة الأمر بالصلاة ، وإيتاء الزكاة .

وقد تأتي السنَّة زائدة على القرآن يعني تتضمن حكمًا ليس في القرآن كتحرير أن يجمع الرجل بين المرأة وخالتها أو وعمتها إلى غير ذلك ما ذكره أهل العلم ، كل هذا حقٌ ووحى من الله ، وهذه وظيفة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ (1) ، والواجب علينا طاعته واتباعه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما أمر واجتنب ما نهى عنه وزجر وتصديقه -عَلَيْهِ أَلْصَلَاةُ وَالسَّلَام- فيما ذكر وأخبر ، إذ هو كما

(¹ سورة النساء (آية : 64)

قال فيه ربنا -جَلَّ وَعَزَّ- : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (2) .
ولذلك يجب أن نؤمن إيمانًا جازمًا ، و يقينًا تامًا أننا لا نستطيع أن نفهم القرآن إلا بالسنة النبوية التي بين
فيها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما يتعلق بالقرآن .
ومن هنا قال شيخ الإسلام بن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : " إِنَّ الرَسُولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد بين للأمة
جميع معاني القرآن " . قال العلماء معناه : أنه بيته في أقواله وأفعاله وتزويل المعاني التي أمره الله -عَزَّ وَجَلَّ-
أن يُنزِّلها في مواقعها إلا ما استأثر الله بعلمه ، ولكن كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :
" كل ما تحتاج إليه الأمة في القرآن فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بينه بيانًا شافيًا " .
لذلك قال شيخنا في هذه الرسالة قال : " قام الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- بهذا البيان على أكمل الوجوه
، وبلغ القرآن والسنة وأشهد الأمة في أعظم المواقف في حجة الوداع (ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال :
اللهم فاشهد) " .
لذلك - بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- علينا أن نعي هذه القضية :
هناك بعض أهل الأهواء والفتن وهناك ممن تأثر بالغرب من يُشكِّك في السنة النبوية أو أن يقول لا نحتاج
للسنة النبوية نعمل بالقرآن ، إذا كنت تعمل بالقرآن فاذا تفعل في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (3) ؟
فالقرآن يأمرنا بطاعة الرسول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ (4) ، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (5) ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (6) .
فإذا ؛ في القرآن ما يأمر بالرجوع إلى السنة وهم يقولون : نحن نستغني بالقرآن عن السنة ، ألا ساء ما يقولون
. !

² سورة النجم (آية : 3- 4)

³ سورة النحل (آية : 44)

⁴ سورة النساء (آية : 59)

⁵ سورة النساء (آية : 65)

⁶ سورة الحشر (آية : 7)

- ومن الفوائد :

أنَّ العمل والاتباع لا يقومان إلا على ساق العلم وقاعدة العلم ، والعلم لا يكون إلا علم الكتاب والسنة ، العلم الممدوح والعلم الذي يُنقذ الله به الناس من الشقاء والصنك في هذه الحياة الدنيا ومن الضلال هو القرآن والسنة.

- ومن الفوائد :

أنَّ الواجب على الأمة أن تتعلم من العلم لتصح أعمالها وأقوالها ، وهذا فرض عين عليهم فيما يحتاجون إليه في أعمالهم وعباداتهم وأقوالهم ، وأما ما سوى ذلك مما لا يحتاجون إليه فهو فرض كفاية .

-ومن الفوائد التي أشار إليها شيخنا - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- فائدة مهمة :

أنَّ الأمة والمجتمع الذي لا يوجد فيه علماء أنه على المجتمع أن يختاروا بعض الشباب ويعينوهم على الرحلة للعلماء ليطلبوا العلم

عندهم ويتفقهوا عند العلماء ثم يعودوا إليهم حتى يبثوا العلم ويحاربوا الجهل .

أقول وهذا الأمر ينبغي أن يتفطن له المسلمون في البلاد التي لا يوجد فيها علماء : أن يهتموا بأن يرحل بعض الشباب للعلماء يختارون الشباب العقلاء الأذكياء الصالحين ، يختارونهم ليأتوا للعلماء يتعلموا ، ثم يعودوا إلى قومهم .

وللأسف فإن بعض الشباب - هَدَانَا اللهُ وَإِيَّاهُمْ لِلصَّوَابِ - يأتي للعلماء ولا يشتغل بالعلم وإنما يشتغل بالفتن والمشاكل، فلا هو تعلم ولا هو أفاد قومه ورجع إليهم بالعلم فضيغ نفسه وضيغ غيره - نَسَأَلُ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِمَا يَنْفَعُهُمْ وَأَنْ يَهْدِيَهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرٌ لَأُمَّتِهِمْ وَلِلْإِسْلَامِ - .

فمن هاهنا أحث هؤلاء الشباب أن يتركوا قيل وقال ، وأن يتركوا الاشتغال بالفتن ، وأن يلزموا غرز العلماء فيتعلموا منهم ، ولا يضيعوا أوقاتهم لأنهم في رحلتهم للعلماء هي أوقات يسيرة ثم يعودون إلى بلدهم ، فإما أن يعودوا بالعلم النافع مع العمل الصالح وإما أن يعودوا بخلاف ذلك ، فما أفادوا أنفسهم ولا أفادوا غيرهم .

اللَّهُ اللهُ، يا إخواني طلاب العلم بالاهتمام بهذا الأمر .
لذلك شيخنا الإمام ربيع المدخلي - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- كثيرا ما يُحَارِبُ الفتن الواقعة بين الشباب السلفي ويحثُّهم على الاشتغال بما ينفعهم من طلب العلم ويأمرهم بترك هذه الفتن التي ما جرَّتْ إلَّا تمزيق الصف السلفي ، وإضاعة الأوقات ، وتفريق الإخوان ، وإشاعة البغضاء والحسد بين الناس حتى تجد الصديقين متفرِّقين ، والأخوين متنازعين حتى تجد أن الدعوة السلفية المشرقة المنيرة القوية بدأت تضعف في بعض البلاد وبدأت الدعوة السلفية يتسلط عليها الأعداء .

-ممن ؟

للأسف بسبب بعض السلفيين وانخراطهم في الفتن .

فكن حاميا لثغرك أن يدخل منه العدو فيهدم أو يحاول أن يهدم المنهج السلفي بين السلفيين ، فالله الله في هذا الأمر .

ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- :

أنّ الأعمال لا بد أن تكون قائمة على العلم كما سبق ؛ إلَّا أنه قال :

" والذي يعجز أن يهتدي بنفسه إلى معرفة المسائل وأحكامها فعليه أن يسأل أهل الذكر ، وأهل الذكر يجب أن يقولوا للناس : قال الله كذا ، وقال رسول الله كذا ... لأن الذكر هو القرآن والسنة ، وأن يفتوا الناس بما تضمنه الكتاب والسنة فتكون أعمال الناس - عَمَّاؤُهُمْ وَجُهَّالُهُمْ- قائمة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- . وهذا أمر مهم لطلاب العلم والعلماء أن يعوّدوا العامة على الدليل .

بمعنى إذا جاءك العامي :

- ما حكم حلق اللحية ؟

لا تقل له فقط حرام ، وإنما تقول له : حرام ، فإن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال كذا وكذا .

وإن جاءك عامي وسألك مثلاً :

- ما حكم شرب الخمر ؟

لا تكتفِ بأن تقول له : حرام ، لكن تقول له : حرام ؛ لأن الله قال كذا ، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال كذا وكذا ...

← وهذا أمرٌ مهم : فالعائِي توقعه على الدليل في المسائل التي هي واضحة ويمكنه أن يفهمها أما المسائل الدقيقة والتي لا دليل فيها بالخصوص فهنا يأتي بالنسبة للعائِي التقليد ، ومن أراد أن يحمل كل عائِي على التقليد بحيث أن يُقال له الحكم بلا دليل فقد أخطأ ، فقد يتن شيخنا - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- في هذه الرسالة أن على العلماء وطلاب العلم المتأهلين أن يبينوا للعامة الدليل من الكتاب والسنة ويربوه على ذلك ، ويعودوهم على ذلك -طيب- ، إن قيل بعض العلماء يقول : العامة أو العائِي في حقه التقليد ، نقول : نعم ، هو في المسائل التي لا دليل عليها بالخصوص وفي المسائل التي لا يستطيع أن يفهمها لدقتها وخفاء دليلها ، فهذا لا يُقال لك : يتن للعائِي أن هذه المسألة فيها قياس ، وفيها علة كذا ، وفيها كذا وكذا ... من أوجه الاجتهاد وأوجه الاستنباط الدقيق ، أما المسائل الظاهرة : تبين له الدليل ، الغيبة حرام لقوله - تَعَالَى- كذا ولقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كذا - بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ - .

قال الشيخ - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- وهذه فائدة تبين ما سبق :

قال : " فإذا كانوا - أي هؤلاء السائلون من العوام - فإذا كانوا على هذا الوجه يعني معرفة الدليل من الكتاب والسنة وعلى هذه الحال - فهم متبعون - أي بالدليل - وإذا كانوا على غير ذلك فهم ليسوا بمتبعين وإنما يتبعون أهواءهم وإنما هم مبتدعون " .

يعني إذا ما سألوا العلماء ، وما رجعوا للعلماء وعرفوا الحق ، والعلم بدليله من الكتاب والسنة ، إذا ساروا على أهوائهم فتجد بعض الناس مثلاً : يفعل الموالد ، ويقع في البدع فتقول له : يا أخي ، هذه بدعة أسأل العلماء ، يقول : لا أنا ما أحتاج أسأل العلماء ، يا أخي! الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما فعلها - الصلاة الرجبية ، العمرة الرجبية أو العمرة التي يفعلونها على أيام المولد أو نحو ذلك من البدع والمخالفات - فإذا قلت له : لا ، هذا لا يجوز ، قال لك : " يا أخي أنا أحب الرسول وأنا أطيع الله " .

فإذا هو في الحقيقة ما يحب الرسول ولم يطع الله لأنه لو كان يحب الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان مطيعاً لله فإنه يسأل ما يحبه الله وشرعه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما أمر به فيفعله ، ويحذر ما نهى الله عنه

وأخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه حرام فيتركه .

فالشيخ - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- بَيَّنَّ هذه الفائدة الدقيقة التي لا بد أن نفهمها على الوجه الصحيح .

ثم بين الشيخ -حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- من الفوائد في هذا :

أن هذا الأمر - أعني الرجوع للعلماء ومعرفة الحق والعمل به - هو أمرٌ -يعني- طيب ، ولكن لن تكون الأمة كلها على هذا الوجه ، بمعنى أن هناك من الأمة من يتعلم الحق ويعمل به ، وهناك من الأمة من يخالف الحق ويعاند ويقع في البدع والضلال مصداقاً لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : (وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قَالُوا : مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ ، قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي) (٧)

هذه فائدة مهمة ونكتة لطيفة :

أن بعض الناس قد يطلب أو يقول : " يا أخي الناس كلهم على خير ، الناس كلهم مهتدون " ، نقول له : يا أخي لست أعلم من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فالرسول بَيَّنَّ لنا أن من الناس من يتبع الحق ومن الناس من يركب هواه بل بين لنا أن الذين يركبون هواهم اثنان وسبعون فرقة وأن الذي يتبع الحق فرقة واحدة ، ولذلك بَيَّنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الفرقة بأمر :

-الأمر الأول : أنهم قليلون ، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ) ، والطائفة الجماعة القليلة : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَّلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ) (٨) .
وبَيَّنَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أن هذه الطائفة في غربة بين الناس ، لأن الناس إما أن يكونوا أصحاب شهوات وملذات منغمسين فيها واقعين في الأمور المحرمة فلا يقبلون من ينصحهم بتقوى الله وبالرجوع إلى تقوى الله بل يتضايقون منه ويتذمرون منه ويؤذون أن لا يكون بينهم ، ومنهم من يكون صاحب شبهات وبدع وضلالات .

فالسلفي السني طالب العلم المتمسك بالحق في غربة لأن أهل الشهوات يرفضونه وأهل البدع يحاربونه ،

(٧) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة 1_ 358.

(٨) رواه البخاري 3640 ومسلم 1921.

فهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) (9) ، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحْتُمُّ الْمَتَمَسِّكِينَ عَلَى الْحَقِّ بِأَنْ يَصْبِرُوا إِلَى أَنْ يَلْقُوا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - .

أيضًا من صفات الفرقة الناجية الطائفة المنصورة أنهم في عملهم وفي علمهم، وفي قولهم واعتقادهم وكل أمرهم هم على مثل ما عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه ، لا تأت لي بفلان وفلان وتقدم أقوالهم على قال الله ، قال رسوله ، قال الصحابة .

ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - لَمَّا بَيَّنَّ لِلنَّاسِ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ قَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ : " قَالَ أَبُو بَكْرٍ كَذَا أَوْ قَالَ عُمَرُ كَذَا " ، فَقَالَ لَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ : " يُوشِكُ أَنْ تَنْسِقَطَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، أَقُولُ لَكُمْ : قَالَ اللَّهُ ، قَالَ رَسُولُهُ وَتَقُولُونَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ عُمَرُ " .

أبو بكر وعمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا - وَعَنْ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا صَدَرَ مِنْهُمْ قَوْلٌ هُمْ مَجْتَهِدُونَ فِيهِ فَلَهُمْ فِيهِ أَجْرٌ إِذَا أَخْطَئُوا وَأَجْرَانِ إِذَا أَصَابُوا ، فَقَوْلُهُمُ الَّذِي لَهُمْ فِيهِ أَجْرٌ إِذَا لَمْ يُوَافِقِ الْحَقَّ فَإِنَّا نَقَدِّمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَنَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مَعَ عَظِيمِ مَنزَلَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - مِنَ الدِّينِ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا كَذَلِكَ فَكَيْفَ بِنِ يَقْدَمُ قَوْلُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ عَلَى الْأَدْلَةِ الصَّحِيحَةِ وَعَلَى السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ مِمَّنْ هُوَ لَيْسَ بِصَحَابِي ، وَلَا مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى ؟

كيف بمن يتبع فلانًا لأنه متبوعه ، فلا يرضى أن يرد له قولاً ؟

وإذا رددت قوله : قال أتطعن فيه ؟

وتتنقص منه ؟

عصبيةً وجهلاً ، ومسلًا غير محمود .

ولذلك -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ - الفرقة الناجية الطائفة المنصورة هي التي تتمسك بما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه ، وهذا كما سبق فيه بيان خطأ من يقول : " إن كل الناس على حق وصواب " سبحان الله !

(⁹) رواه مسلم في صحيحه .

الرسول يقول : (تَفْتَرُقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً) ، والواحدة هي ما عليه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه ، وهؤلاء يقولون : " الناس كلهم على خير " ، سبحان الله ! لاشك أنه قولٌ باطل عاقل مخالفٌ للدليل .

ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا -حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- وهي فائدة دقيقة :
وهي الإرشاد والدلالة إلى قراءة سيرة الصحابة الكرام - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - خصوصاً ثم قراءة سيرة أئمة الهدى الذين اتبعوهم بإحسان ليرى كيف أثمر العلم الصحيح النافع والعمل الصالح على هؤلاء من إخلاصٍ ويقينٍ ، وصدقٍ ووفاءٍ ، وبرٍ وعدلٍ وإنصافٍ وكل أوصاف الكمال التي يكمل بها البشر ، يراها في أصحاب محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فهذه فائدة مهمة .

بعض الناس يقول لك : اقرأ تراجم العلماء ، اقرأ كل تراجم العلماء - يعني - واعمل مثلهم ، نقول : لا يا أخي ، لا تفتح الباب على مصراعيه وإنما تُقرأ تراجم الصحابة - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - ، وتُقرأ تراجم أئمة الهدى ليُتَّبَعُوا في الحق الذي هم عليه ، أما العلماء عموماً حتى إن بعضهم يقول : اقرأ سيرة فلان وفلان من أهل البدع والأهواء فلا شك أن هذا باطل من القول ، وأن عمل العالم يُعرض على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

قال الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : " لا تأخذوا عني ، ولا عن الشافعي ، ولا عن مالك ، وخذوا من حيث أخذنا " قال الشافعي - كما مر معنا - : " إذا عارض قولي قول الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاضربوا بقولي عرض الحائط " .

لأن بعض العلماء قد تكون لهم اجتهادات خاطئة وقد تكون لهم بعض الأمور غير الصائبة ، ولذلك قد تجد في سيرة بعض العلماء أنه يُنكر على السلطان علانية فيقول بعضهم : انظروا إلى فلان وفلان لا يخشى في الله لومة لائم فينكر على السلطان فأنكروا مثله ، نقول له : يا أخي، الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : (مَنْ

أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ عَلَانِيَةً (10)

وأنت تريدنا أن نتبع فلان وفلان في الإنكار علانية ؟

نعم ، هم هؤلاء العلماء مجتهدون لهم أجر واحد ؛ أخطؤوا ! ولكن لا تتبعهم في خطئهم ولا نجعل العلماء مطلقا محطة للتباعد كما تفعل بعض الجماعات كجماعة الإخوان وجماعة التبليغ وغيرها.

هم لماذا يفعلون هذا ؟

هم ما يستطيعون أن يقولوا للناس : افعلوا كذا وكذا ولكن يدلوهم على الكتب وعلى تراجم مخصوصة يقرؤها حتى يقع المسلم الذي لا يبصر الحق فريسة لمنهجهم الباطل العاطل عن الدليل .

-فَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ- تنبهوا لهذه الفائدة الدقيقة التي أشار إليها شيخنا -حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى - من الرجوع إلى تراجم الصحابة - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - .

قال شيخنا -حَفِظَهُ اللَّهُ- لما ذكر الصحابة قال : " فلندرس تاريخهم ومواقفهم ، وجهادهم ودعوتهم ، وتبليغهم لنرى أنهم قد حازوا قصب السبق في كل ميدان ، وفي كل مجال ولهذا جعلهم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مقياسا لمن يأتي بعدهم كما قال - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿ (11) أي غير سبيل الصحابة - ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ - وَسَاءَ ثَمَرًا ﴾ (12) .

فإذا ؛ هذا الأمر دقيق وهذه فائدة دقيقة من شيخنا -حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يحثنا فيها على قراءة تراجم الصحابة - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - والاستفادة من هديهم لأنهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - .
ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا -حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى- :

¹⁰ (الحديث بلفظ : عن عياض بن غنم رضي الله عنه قال : قال رسول الله: من أراد أن ينصح لذي سلطان في أمر فلا يبيده علانية ، وليأخذ بيده ، فإن قبل منه فذاك ، وإلا كان قد أدى الذي عليه ، أخرج الإمام أحمد ورواه ابن أبي عاصم في السنة وصححه الشيخ الألباني .

¹¹ (سورة النساء (الآية : 115)

¹² (سورة النساء (الآية : 115)

وقد سبق أن الأمة ستفترق .

- ما العمل ؟

قال شيخنا - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- : " أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حينما تفترق الأمة وتمزقها الأهواء ونزى الاختلافات الكثيرة أن نعود إلى ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو وخلفاؤه الراشدون -صَلَوَاتُ اللهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَرَضِيَ عَنْهُمْ- "

فإذَا ؛ عند الاختلاف وعند الفتن نرجع إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .
فهذه جملة من الفوائد والوصايا والدقائق العلمية التي قل أن تراها في كتاب وقل أن تراها منظومة مرصوفة كاللدر والألماس قد نظمها لنا شيخنا - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى- في هذه الرسالة والرسائل السابقة .

فجزاه الله خيرًا من عالم ناصح ، ومن أب مشفق ، ومن سلفي واضح النهج ، سليم العقيدة ، بعيدًا كل البعد عن البدع والضلالات وعن الخرافات .

نسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ- أن يتقبله في الصالحين وأن يتقبل منه ما قدمه لهذه الأمة ، هذا العالم الناصح لا زال بعض أهل للفتن والأهواء يُشَعِّبُ عليه ويرميه بالكذب والافتراء بما هو منه بريء ولكن كالعود زاده الإحراق طيبًا .

فهذا الشيخ الجليل والعالم النبيل كلما كثرت عليه أسهم أهل الأهواء والبدع كلما عرف الناس صدقه ونبله وعلمه .

فن رماه بالتكفير ، ومن رماه بأنه ممن يُؤَلَّدُ أو ممن يُؤَسَّس ويوافق الدواعش ، لا شك أنه كاذب في دعواه وفاجر في خصومته .

فهذا الشيخ الجليل من أكثر العلماء محاربةً لمنهج التكفير وسمودًا في وجه أهله من حداذية تكفيريين ، ومن

حزبية يتوصلون بتكفير الحكام وبتكفير الأمة لتحقيق مآربهم ، فكتبه ومحاضراته ووصاياه مليئة وكثيرة جداً
بمحاربة منهج التكفير وبمحاربة منهج الدواعش وتنظيم القاعدة - جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا - .

وكفاه نبلاً وشرفاً أن كل من يطعن فيه لا يجد شيئاً يتمسك به للطعن فيه سوى الكذب والافتراء .

فنسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يوقفه لما يحبه ويرضاه ، ونسأله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن يكفيه شرَّ كل ذي شر وأن
ينصره ويوقفه لما يحبه ويرضاه

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

